

أضواء البيان

@ 447 قد يظن غير المتأمل أن بينهما اختلافاً ، والواقع خلاف ذلك . لأن كلامه لا يخالف بعضه بعضاً ، وإيضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى ذكر في بعض الآيات أن حكمة خلقه للسموات والأرض هي إعلام خلقه بأنه قادر على كل شيء ، وأنه محيط بكل شيء علماً ، وذلك في قوله تعالى في آخر الطلاق : { اللَّهُمَّ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْاَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَلُّهُمُّ مُرُّ بَيِّنَاتٍ لِّتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً } .

وذكر في مواضع كثيرة من كتابه أنه خلق الخلق ليبين للناس كونه هو المعبود وحده ، كقوله تعالى : { وَإِلَـهٌ كُـمُّمٌ إِيـلَـهٌ وَاحِدٌ لَّا إِيـلَـهَ إِـلَّا هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ } ، ثم أقام البرهان على أنه إله واحد بقوله بعده : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } إلى قوله { لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ، ولما قال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ { بين أن خلقهم برهان على أنه المعبود وحده بقوله بعده : { الَّذِي خَلَقَكُمْ } وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } . .

والاستدلال على أن المعبود واحد بكونه هو الخالق كثير جداً في القرآن ، وقد أوضحنا الآيات الدالة عليه في أول سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى : { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ دَرَّاهُ تَقْدِيرًا } وَاَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ، وفي سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى { أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ } قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ { ، وفي غير ذلك من المواضع . .

وذكر في بعض الآيات أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي الناس ، وذلك في قوله : { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْدَأَ الْوَحْدُ أَيْ يَكْمُ أَوْ أَحْسَنُ عَمَلًا } . .

وذكر في بعض الآيات أنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم وذلك في قوله : { إِنَّ رَبَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ } ، وذكر في آية الذاريات هذه أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، فقد يظن غير العالم أن بين هذه الآيات اختلافاً مع أنها لا اختلاف بينها ، لأن الحكم المذكور فيها

كلها راجع إلى شيء واحد ، وهو معرفة الله وطاعته ومعرفة وعده ووعيده ، فقله : {
لِّتَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ